غرائب الاتفاق

وصدق الاحلام

كانت سيدة ذاهبة الى البلاد الانكليزية في اواخر شهر مايو الماضي بطريق جبل طارق . فارقنا صباح الرابع والعشرين من الشهر وركبت سفينة قائمة من بورت سعيد وكتبت الينا في الحادي والثلاثين من الشهر وهي في عرض البحر امام بلاد اسبانيا قائلة انها حلمت ان فلانة ولدت صبيًّا في الليل الماضي . وكانت تعلم ان السيدة التي اشارت اليها حامل ويوم ولادتها قريب

وقد ولدت هذه السيدة صبيًّا في الحادي والثلاثين من شهر مايو الساعة السادسة صباحًا وهي تعادل الساعة الرابعة في المكان الذي كانت فيه السيدة الحالمة . فالحلم صحيح بكل تفاصيله . ونسبة الاصابة الى الخطإ في هذه الحالة كنسبة واحد الى ٢٦ او اكثر لان السيدة التي ولدت ذلك اليوم كان يحتمل ان تلد فيه او في اي يوم من الخمسة الايام التي قبلهُ او من الاسبوع الذي بعدهُ وان تلد صبيًّا او بنتًا والحاصل من هذين الاحتمالين ٢٦ نسبة الخطإ الى الاصابة كنسبة ٢٦ الى ١ ومع ذلك اصابت تلك السيدة في حلمها او حدسها وكتبت به الينا وارسلت الكتاب من اول مرفإ وصلت السفينة اليه قبلما وصلها خبرنا بايام بل وصل كتابها الينا قبلما وصل خبرنا اليها

والنوادر التي من هذا القبيل كثيرة جدًّا وقد نشرنا بعضها في السنين الماضية ورأينا الآن ان ننشر النوادر التالية وهي من فصل قديم للعلامة الفرد رسل ولس

حلمت سيدة انكليزية مرتين في ليلة واحدة انها رأت اخاها بدنًا بلا رأس واقفًا عند رجلي سريرها ورأسهُ موضوع على تابوت بجانبه . وكانت تعلم ان اخاها في جهات الهند ولكنها لم تكن تعلم مقرَّهُ ثم اتضح انهُ كان في بورنيو مع السر جمس بروك وقد قتلهُ فيها الصينيون الذين ثاروا على الحكومة ظانين انهُ ابن حاكم البلاد وقطعوا رأسهُ واخذوهُ غنيمة واما جسمهُ فحرق باحتراق بيت الحاكم . وكتب رئيسهُ السر جمس بروك يقول ان اخذ الصينيين لرأسهِ يدل على انهم قتلوهُ اولاً ثم قطعوا رأسهُ . ونسَّر ولس ذلك بان نفس القتيل اعلمت اختهُ بما اصابهُ او نفسًا اخرى رأت ذلك واعلمت اختهُ به

وحلمت سيدة اخرى انها رأت اخاها (وهي وايَّاهُ توأمان) جالسًا في نور القمر على

جانب الطريق في تسمانيا حيث كان ثم رفع يدهُ وقال القطار القطار واذا بشيء لطمهُ فسقط مغمًى عليهِ ومرَّ شيء كبير اسود ورأت بناءه مثل مباني سكة الحديد ورجلاً تعرفهُ واخاها ايضاً ويدهُ على وجههِ وهو في حزن شديد وسمعت صوتاً غير صوتهِ يقول لها انهُ ذاهب عنها. ثم استيقظت في تلك الليلة نفسها كان اخوها مارًّا على سكة حديدية فجلس على الخط ونام ومرَّ القطار فقتلهُ والرجل الذي رأتهُ في حلمها كان راكباً في ذلك القطار. قال ولس ان النفس التي اعلمت هذه المرأة بموت اخيها لم تكن نفسهُ لانهُ هو لم يكن يعلم ان ذلك الرجل راكب في القطار فهي نفس اخرى رأت كل شيء واخبرت بهِ

وكان رجل من اهالي غلاسكو يسكن في لندن وعندهُ في معملهِ بغلاسكو شاب كان يودُّهُ فحلم ذات ليلة ان ذلك الشاب جاءهُ وطلب منهُ ان لا يصدق ما يسمعهُ عنهُ فسألهُ الرجل عن امرهِ فقال لهُ الشاب ثلاثاً متعلم قريباً. ورأى الرجل وجه الشاب اصفر مزرقًّا وهو يتصبَّب عرقاً ولما استيقظ استلم البريد فاذا فيهِ كتاب لهُ من وكيلهِ في غلاسكو يقول لهُ فيهِ ان الشاب فلاناً انتحر بشرب ماء الفضة. ومن يشرب ماء الفضة يصفر وجههُ ويزرق كما رأى ذلك الرجل في حلمهِ وكان هذا الشاب قد مات قبل الحلم بيومين. ومن رأسهِ ولس ان نفس الشاب هي التي اخبرت صاحب المعمل لنفي تهمة الانتحار

ودعي رجل الى جنازة فلم يستطع الذهاب اليها وفي ميعاد الجنازة اصابتهُ غيبوبة فحلم انهُ حضر الجنازة وشاهد كيفية سيرها وممن صلَّى على الميت ولما انتبه كتب ذلك كلهُ ثم وجد ان الجنازة حدثت كما شاهدها في حلمهِ

وغرق شاب اسمهُ فيليب من تلامذة المدرسة الكلية الكاثوليكية قرب هرتفرد سنة ١٨٤٦ وفي نحو الساعة التي غرق فيها كان ابوهُ واختهُ مارين في طريق فرأياهُ امامهما جالساً مع شاب آخر وهما بثياب سوداء فقالت اختهُ لابيها انظر يا ابتِ هوذا فيليب فنظر وقال نعم هذا هو ولكن منظرهُ منظر ملاك. واسرعا اليهِ وفي تلك اللحظة مرَّ رجل امامهما فرأيا كأنهُ اخترق جسم فيليب ورفيقهِ ثم تبسَّم الاثنان واختفيا

وجاء رئيس المدرسة الدكتور كوكس ينعي الولد الى ابيهِ فقال لهُ ابوهُ قبلما كلَّمهُ اني عرفت لاي غرض آنت آتٍ وقصَّ عليهِ ما رأى هو وابنتهُ. وبعد اسابيع قليلة زار هذا الوالد مدرسة الجزويت في سنونهيرست فرأى فيها صورة تشبه صورة الشاب الذي رآهُ مع ابنهِ وقد كُتب تحتها انها صورة القديس ستانسلاوس كوتسكا وهو من حشمة الجزويت وكان ابنهُ قد اختارهُ حارساً لهُ عند نيامهِ

وفسّر ولس ذلك بان الطيفين اللذين رآهما الوالد وابنتهُ إنما انهما طيفا ابنهِ والنديس حارسهِ او ان روحاً من ارواح احد اصدقائهِ مثلت لها ذينك الطيفين لكي يطمئن بالها ورجح الثاني . قال وهذا اي اظهار الميت في صورة تعزي ذويهِ كثير الوقوع مثال ذلك ان شاباً غرق بغرق السفينة لابلاتا سنة ١٨٧٤ وقبلما وصل نعيهُ الى اخيهِ في لندن حلم اخوهُ انهُ كان في احتفال بهيج في حديقة كبيرة تتدفق مياهُ فسافيها والانوار منبثة بينها وقدامها جمهور غفير من نخبة الرجال والنساء ولقي فيها اخاهُ بثياب الماء والصحة تتدفق من وجههِ فدهش من ذلك وسألهُ قائلاً ما اتى بك الى هنا فصاحَ اخوهُ وقال لهُ ألا تعلم ان السفينة غرقت بنا وفي اليوم التالي نشرت الجرائد خبرغرق تلك السفينة. قال ولس ان مراد هذا الطيف اقناع الرجل ان اخاهُ في حالة تسرّ سواءٌ كان طيف أخيهِ نفسهِ أو طيف شخص آخر

ومن قبيل ذلك ان رجلاً استيقظ في باريس ذات يوم وهو يسمع صوت ولد من اولادهِ ورأى وجههُ مشرقاً في وسط سحابة بيضاء وعيناهُ تتلألآن ولفهُ يتبسم وعليهِ كل امارات البشر والسرور وكان قد تركهُ في لندن ثم علم ان ذلك الولد مات في الساعة التي رأى طيفهُ فيها . وفسر ولس ذلك بان الروح التي تحرس ذلك الولد صوّرتهُ لابيهِ بتلك الصورة لكي لا يحزن على موتهِ

ومنهُ ان رجلاً من اهالي بوستن كان في سنت لويس منهمكاً باشغالهِ فرأى طيف اختهِ وكانت قد توفيت منذ تسع سنوات وكان الوقت الظهر ووقف طيفها امامهُ وهي لابسة ثيابها حتى ظن انها لم تمت واتت اليهِ ورأى في وجهها خمشاً من الجهة اليمنى . وقد اثرت فيهِ صورتها تأثيراً شديداً فركب اول قطار وعاد الى بيت ابيهِ واخبرهُ بما رأى فضحك ابوهُ منهُ لتصديقهِ هذه الخرافات ولكنهُ لما قال انهُ رأى خمشاً في وجه اختهِ صرخت امهُ وكاد يغمى عليها ثم اخبرتهما انها هي نفسها خمشت وجه ابنتها عرَضاً بعد موتها ثم غطّت الخمش فلم يرهُ احد غيرها . ثم ماتت هذه المرأة بعد ايام قليلة وهي مطمئنة بان ابنتها في الجنة . قال ولس والغرض من ظهور هذا الطيف اراحة بال هذه الوالدة

ومن قبيل ذلك ان قسّ اسمهُ ومبري كان يمشي في بعض الشوارع يوم احد مساء وهو يفكر في كتابة مكتوب تهنئة الى صديق لهُ لكي يرسلهُ اليهِ في عيد ميلادهِ فسمع بغتةً صوتاً يقول لهُ اكتب الى الاموات . ولم يرَ احداً قريباً منهُ فحاول ان يقنع نفسهُ بانهُ توهّم انهُ سمع الصوت توهُّماً واستمرَّ على التفكير في كتابة المكتوب ثم سمع ذلك الصوت ثانية يقول لهُ اكتب الى الميت اكتب الى الميت . لكنهُ كتب المكتوب وبعث بهِ الى صديقهِ فاتاهُ

الجواب ان صديقهُ مات قبل وصول الكتاب. قال ولس لا شبهة ان هذا الصوت الذي سمعهُ ذلك القس لم يكن صوت احد من الاحياء وما في عبارتهِ من الاختلاف يدل على ان المتكلم لم يكن بحسب الموت امرًا يستاء منهُ . ومذهب ولس ان هذه الطيوف كلها والاحلام التي من نوعها ظواهر تظهر لغاية مخصوصة كما تتكلَّم اما الامشاذ ميرس وهو من اكثر الناس بحثًا في هذا الموضوع فرأيهُ انها من احلام اليقظة او الموت يشعر بها الذين يرونها بما يسمَّى بقوة التنبؤ اي الشعور عن بعد وانها في الغالب من الاضغاث التي لا معنى لها

واستطرد الدكتور ولس الى ذكر الظواهر التي تحذِّر من خطر مقبل مثال ذلك ان امرأة كانت في شبه جزيرة ملقا سنة ١٨٧٨ فسمعت ذات يوم صوتًا يقول لها اذا اظلم النهار عند الساعة الحادية عشرة فلا بد من موت احد . وكانت لا تزال في فراشها ثم سمعت هذا الكلام ثانية ومرَّ اسبوع والجو صافٍ ثم مرضت ابنتها وتغيَّر الهواء واشتدَّ النوء ونحو الساعة الحادية عشرة اظلم الجو من تكاثف الغيوم وماتت ابنتها في ذلك اليوم عينهِ بعد الظهر بساعة

ومثالهُ ايضًا امرأة اخرى حلمت انها رأت سيدة مرَّت بها وهي لابسة ثيابًا سوداء ثم رأتها ملقاة على الطريق وقد اجتمع الناس حولها وبعضهم يقول انها ماتت وبعضهم انها لا تزال حية ولما وصلت اليها سألت عن اسمها فقيل لها انها فلانة وكانت تعرفها ولكنها لم ترها ولا سمعت عنها منذ زمن طويل . وقصَّت حلمها على اختها في اليوم التالي وبلغها بعد اسبوع ان تلك المرأة وقعت عن جدار على جانب الطريق وآذت نفسها كثيرًا

واغرب من ذلك كلهِ ان شابًّا انكليزيًّا مضى الى زيلندا الجديدة ولقي ذات يوم بحارًا من بحَّارة السفينة التي مضى فيها فاخبرهُ البحار انهُ ذاهب للصيد مع بعض الرفاق في قارب ودعاهُ للذهاب معهم فاجابهُ الى ذلك واتفقا على ان البحَّار ورفاقهُ يوقظون ذلك الشاب في الصباح لينهب معهم . ومضى الى بيتهِ وهو عاقد نيتهُ على الذهاب لكنهُ سمع صوتًا يخاطبهُ ويقول لهُ لا تذهب معهم والتفت الى ما حولهُ فلم يرَ احدًا لكنهُ قال ولماذا لا اذهب فقال لهُ الصوت قلتُ لك ان لا تذهب فقال لا بدَّ لي من الذهاب لانهم سيأتون ويوقظوني ويأخذوني معهم فقال لهُ الصوت أقفل بابك . ثم التفت الى باب غرفتهِ واذا فيهِ قفل كبير ولم يكن قد انتبه لهُ قبلاً فاقفلهُ بهِ ونام وسمع البحار ورفاقهُ يقرعون الباب الساعة الثالثة صباحًا لكنهُ تناوم ولم يفتحهُ فقرعوا طويلاً ولما يئسوا منهُ ذهبوا وهم يشتمونهُ ويلعنونهُ . وعند الساعة الثامنة بلغهُ ان القارب الذي ذهبوا فيهِ انقلب بهم فغرقوا كلهم ولم ينجُ منهم احد وقذف البحر جثثهم على البر في ذلك اليوم واليوم التالي

ومن رأي ولس ان نفساً من نفوس الاموات انذرت هذا الشاب وحذرته من المهلكة ولكنه لم يبين لماذا لم تنذر غيره ولا كيف علمت بما سيحدث في المستقبل

وذكر امثلة اخرى يستدل منها على ان ما يحدث من هذا القبيل لا يكون حدوثه بقوة تنتقل من شخص الى آخر خلافاً لما يقوله اصحاب مذهب التلبثي من ذلك ان امرأة شعرت قبل ان نهضت من فراشها ان لطمة اصابتها على فمها فوضعت منديلها على شفتيها لتمسح به الدم خاسبة ان اللطمة ادمتها وفي تلك الساعة عينها كان زوجها في قارب فعبثت به الامواج وضرب عمود الدفة بضربة واذى شفته حيث شعرت زوجته ان اللطمة اصابتها . قال ولس ان هذا الرجل لم يكن يريد ان تتأثر امرأته من الضربة التي اصابته ولا كان يريد ان تعلم بما اصابه ولذلك فالذي جعلها تشعر بما شعرت به ليس قوة خارجة عنه بل قوة اخرى مستقلة عنه . والظاهر انه يذهب الى ان روحاً من ارواح الموتى رأت اللطمة التي اصابت الرجل فذهبت حالاً ولطمت امرأته ايضاً لكي يصير الاثنان في الهوى سوى

ومنها ان مهندساً كان ماراً وفكره مشغول برسم بعض الاحواض فهجم عليه اثنان من اللصوص واوقعا به لكنه نهض وحاول ان يدفعهما لكي يخبر رجال الحفظ عنهما وهو واثق انه في تلك الساعة والساعة التي قبلها لم يخطر على بالهِ رجل من اصدقائه في لندن لكن ذلك الرجل شعر في الوقت نفسه ان ذلك المهندس كان ماشياً وراءه في شارع من شوارع لندن فالتفت اليه ورآه ورأى امارات الالم على وجهه فسأله عن سبب ذلك فقال له اذهب ياصاح انا انا فقد اصابني ما اصابني . وكتب المهندس الى صديقه يخبره بما جرى له وكتب اليه صديقه يخبره بما رأى في الطريق وتقاطع الكتابان

ومنها ان شاباً دخل احد الاندية ليسمع خطبة ورأى هناك صديقاً من اصدقائه فعزم ان يعود معه الى بيته ماشياً بعد انتهاء الخطبة ولكنه التفت والخطيب في وسط خطبته فرأى باباً الى جانب دكة الخطابة فنهض ومشى اليه مندفعاً الى ذلك بقوة لم يعلم سببها ولمحه وخرج منه ورأى المكان مظلماً وفي طرفه نور ضئيل فمشى اليه فرأى هناك سلماً مشى فيه الى الباب الخارجي وكان الخطيب لا يزال آخذاً في خطبته اما هو فلم ينتبه له ولا عاد افتكر بصديقه الذي كان عازماً على الرجوع معه بل خرج من باب النادي وسار الى بيته فلما وصل اليه وجد النار مضطرمة في البيت المجاور له وامه في اضطراب شديد فنقلها حالاً الى مكان آخر واخذ يبذل جهده في وقاية بيته من النار فنجح بعد عناء شديد اما البيت المجاور له فاحترق كله . وقد قال هذا الشاب انه لو خطر على بالهِ وهو في النادي ان

يبعثهُ في خطر من النار لاستخلص بهذا الخاطر ونفاهُ من ذهنهِ لانهُ من ابعد الناس عن تصديق الاوهام . ومن رأي الدكتور ولس ان نسمة عائلة رأت الخطر المحدق ببيت هذا الشاب وكانت تعلم انهُ لا يستسلم للاوهام فاثرت في ذهنهِ تأثيرًا جعلهُ يخرج من النادي ويسير الى بيتهِ وهو لا يعلم الغرض من ذلك . وقال في خاتمة كلامهِ انهُ ان كان عالم الارواح موجودًا وان كان الموت لا يفني النفس الخالدة فهل يبعد عن التصديق ان تفوس بعض الاموات تستاء من انكارنا الخلود فتبذل جهدها لايقاظنا بخطائنا وهل يبعد عن التصديق انها تبذل جهدها لتريبنا انها لا تزال حية وان الموت لا يقضي على النفس كما يقضي على الجسد وانها ليست في حالة تسوؤنا . ولعل اعتقاد الناس بوجود الارواح الحارسة صحيح مبنيٌّ على حقائق راهنة وهذا يفسر لنا كيف كان لسقراط روح تحذرهُ من الوقوع في الخطر وكيف كان لغيرهِ ارواح تنذرهم وترشدهم . والشواهد كثيرة على ان الذين يموتون حديثًا تظهر ارواحهم لذويهم وتطلب منهم ان يفعلوا بعض الامور وهو ما يُنتظر منها

هذا والنتائج التي وصل اليها ولس ومَن يذهب مذهبهُ من حيث تأثير نفوس الاموات بالاحياء مبنيَّة على مثل الحوادث المذكورة آنفًا فان كانت هذه الحوادث قد حدثت حقيقة كما يرويها اصحابها من غير تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان فالنتائج التي وصل اليها ولس ومن يذهب مذهبهُ من الروحيين صحيحة ولكنها تجعل عقول تلك الارواح اخف من عقول الجانين في بعض الاحوال واسمى من عقول الملائكة في احوال أُخرى . فتلطم امراة على فمها حتى تكاد تدميها لكي تعلمها ان زوجها أُلم على فمهِ وتعلم في الساعة الثالثة من النهار ما سيصيب بحارًا وجماعة بعد ساعتين او ثلاث . وتثب من اقصى الشرق الى اقصى المغرب لتخبر امرأة ان اخاها قتل وقطع رأسهُ او مرَّ القطار عليهِ ودأسهُ ويشق عليها ان تنذر ذلك الاخ ليهرب وينجو او ليفيق ولا يدع القطار يدوسهُ . واذا امعنت نظرك في كل ما رووهُ عن الارواح وجدت تسعة اعشارهِ من مثل هذه الخرافات وهذا لا ينفي وجود الارواح وخلود النفس ولكن لو محصت الاخبار المذكورة آنفًا لوجد اكثرها مبالغًا فيهِ والصحيح منها ليس فيهِ من الغرابة ما يخرجهُ عن حد الحوادث العادية

اما الحلم الذي اشرنا اليهِ في صدر هذه المقالة فلا يتعذَّر تفسيرهُ على مَن يعرف كل القرائن المتعلقة بهِ وهذا نص عبارة الكاتبة

"I dreamed last night (Saturday) E. had her baby (I wonder if I am right after all) on the 30th and a boy."

اي حلمت البارحة السبت في الثلاثين من الشهر ان ا . ولدت ومولودها صبي ألم أُصب

اما القرائن فهي ان السيدة التي حلمت هذا الحلم كانت تعتقد ان السيدة الحامل ستلد صبيًّا وكانت تعلم ان يوم ولادتها قريب ينتظر يومًا فيومًا وكان معها في السفينة سيدة اخرى معها طفل صغير عمرهُ بضعة اسابيع وقد كتبت في الكتاب قصة انها حملتهُ يوم السبت ونومتهُ

فهذه القرائن جعلتها تهدس بولادة الطفل نهارًا وتحلم بهِ ليلاً فرسخ في ذهنها ان المولود سيكون صبيًّا وترجَّح احتمال من الاحتمالين ولم يبقَ الاَّ يوم الولادة ولكن حملها للطفل في السفينة يوم السبت اثَّر في ذهنها فحلمت بهِ ليلاً وهذا يضعف سائر الاحتمالات ويرجح انها تحلم بان ا٠ ولدت تلك الليلة وولدت صبيًّا حتى لو حلمت ان ا٠ ولدت في ليلة اخرى وولدت ابنة لكان ذلك اغرب٠ فصحة هذا الحلم ليست من الخوارق التي نضطر ان نفرض لها ان نفسًا من نفوس الموتى رأت الولادة في القاهرة فطارت الى اقصى بحر الروم امام اسبانيا ودخلت مخدع تلك السيدة واثرت في دماغها تأثيرًا جعلها تعتقد ان صديقتها ولدت صبيًّا٠ ولو لم يكن كتابها امامنا ونحن نكتب هذه السطور لصدقنا ما قالهُ لنا الذين قرأوهُ اولاً وهو انها عينت اليوم والساعة التي ولد فيها الطفل من غير ان يشيروا الى القرائن٠ ولو فحص الناس اكثر الروايات الغريبة التي من هذا القبيل لزال منها ما فيها من الغرابة ورأوها مثل سائر الحوادث الطبيعيَّة التي تعلل بالنواميس الطبيعيَّة

بقي امرٌ آخر لا بدَّ من القول عن هذه الحوادث غرابة وهو كيف ان عالمًا مثل ولس يعتقد صحة هذه الاخبار من غير ان يمحصها التمحيص الكافي ثم يفرض لتعليلها فرضًا اذا ازال مشكلاً اوقع في مشاكل ٠ فان مرور خاطر في ذهن الانسان ان بيت جاره احترق وبيتهُ في خطر من الحريق اقرب احتمالاً واسهل ادراكًا من فرض روح من ارواح الاموات رأت البيت يحترق فبادرت واثرت في نفس ذلك الرجل ٠ واذا كانت هذه الارواح حولنا فلماذا يقتصر عملها على انذار واحد من مئة الف مرَّة واحدة في حياتهِ ولماذا لا تكون اشفق من ذلك فتنذرهُ مرارًا كثيرة ولماذا لا تنذر غيرهُ والناس كلهم محتاجون الى انذارها ولماذا تقتصر على المخالفات في اكثر الاحوال

اما التعليل الذي نراهُ اقرب الى الصواب لاكثر الحوادث المتقدمة فهو ان الذين رووا اخبارها لم يرووها على حقيقتها ولو نقلوا لزالت غرابتها وما بقي منها غريبًا بعد تمحيصهِ شذوذٌ من قبيل الاتفاق ٠ اما حادثة الشاب الغريق فان كانت قد رويت على حقيقتها تمامًا فهي صحيحة وتمتاز عن غيرها من الحوادث المذكورة بنباهة غايتها ولكن لا بد لطالب الحقيقة من ان يقول لماذا لا تكون الحوادث التي مثلها كثيرة ولماذا لا تظهر على اسلوب يقنع الناس كلهم